ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرَيْدُ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثاني، العدد الرابع، تموز 2020 م

The role of middle-east scholars in the arrival and influence of the reform . thought in Algeria

دور علماء المشرق العربي في وصول الفكر الإصلاحى للجزائر وإفرازاته

عبد العزيز نارة

جامعة أحمد دراية – الجامعة الإفريقية- أدرار مخبر المخطوطات الجزائرية بإفريقيا

aziz3171@gmail.com

arid.my/0003-5913

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.2410>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 21/10/2019

Received in revised form 17/11/2019

Accepted 05/01/2020

Available online 15/07/2020

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.2410>

ABSTRACT

A number of factors contributed to the spread of the reformed movement in the Arab world .most notably the reformists in Arab East .who were inspired by the principles of true Islam .Then worked to purify the minds and minds of innovations and superstitions and related to the ideological foundations and then progress in the ladder of social and political life.Reform of the situation inAlgeria, And helped Algerians to find new ways and means to counter French colonialism ,and worked to spread this movement. Organic and reformist scholars and reformers Algerians, where united their efforts in the establishment of Algerian Muslim Schlors Association.

Keywords: reform movement, reform scholars, middle-east, Algeria, Algerian Muslim Scholars Association.

الملخص

ساهمت عدة عوامل في انتشار الحركة الإصلاحية بالعالم العربي أبرزها ما قام به دعاة وعلماء الإصلاح بالشرق العربي والذين استوحوا دعوتهم من مبادئ الإسلام الصحيحة فكانوا يعملون على تطهير النفوس والعقول من البدع والخرافات وما يتصل بالأسس العقائدية ثم يتدرجون في سلم الحياة الاجتماعية والسياسية، ولقد كان لظهور الحركة الإصلاحية بالجزائر مساهمة فعالة في نشر الوعي الديني والثقافي والحفاظ على مقومات الشعب الجزائري، وإصلاح الحالة التي وصل إليها، كما ساعدت الجزائريين على إيجاد أساليب ووسائل جديدة للتصدي للاستعمار الفرنسي، وقد عمل على نشر هذه الحركة النهضوية والإصلاحية علماء ومصلحين جزائريين، حيث توحدت مجهوداتهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: الحركة الإصلاحية، علماء الإصلاح، الشرق العربي، الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- المقدمة:

إن الحديث عن وصول الفكر الإصلاحى للجزائر يتطلب بالضرورة من الباحث أن يتجاوز الحدود الجغرافية ويتطلع إلى الأبعاد التاريخية، ويترصّد إشعاعات الحركة الفكرية والإصلاحية في المنطقة العربية خاصة في المشرق العربي، حيث إن العالم العربي شهد ظهور حركة إصلاحية بقيادة علماء ودعاة معادين للاستعمار الغربي والذين سعوا جاهدين من أجل إصلاح المجتمعات العربية والإسلامية والنهوض بها وتخليصها من كل ما آلت إليه من انحطاط وضعف في الثقافة وابتعاد عن الدين الإسلامي ونشر الوعي والحفاظ على مقوماتها والعمل على مواجهة الاستعمار، وقد لعبت عدة عوامل في وصول أفكار ومبادئ هذه الحركة إلى الجزائر مطلع القرن العشرين والتي كانت لها انعكاساتها ليس على علماء الجزائر فحسب بل وحتى على كل الجزائريين.

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: فيما تمثّل الدور الذي لعبه علماء المشرق العربي لوصول الفكر الإصلاحى للجزائر؟ وما هي أهم إفرزاته؟.

أولاً: ظهور الحركة الإصلاحية بالجزائر:**1/: مفهوم الإصلاح:****أ: الإصلاح لغة:**

مأخوذ من صلح: خلاف فسّد

وأصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير والجمع مصالح، والصلح هو التوفيق.

وأصلحت بين القوم أي وفقت، وتصلح القوم واصطلحوا وهو صالح للولاية أي له أهلية القيام بها. [1]

والإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه والصلح: السلم. [2]

ب: اصطلاحاً:

الإصلاح هو تغيير الأحوال من السيئ إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة. [3]

ولقد ورد الإصلاح أو أحد مشتقاته في القرآن الكريم مائة وثلاثاً وسبعين مرة منها ما يلي:

- إن لفظ الإصلاح أو أحد مشتقاته جاء دالا على رفض الفساد ونقيضه له: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} (سورة الأعراف، الآية 56).

- ورد مقترنا بالإيمان والكفر: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (سورة الأنعام، الآية 48).

- جاء مقترنا بالعطاء والخير: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (سورة النساء، الآية 114).

- جاء مقترنا ودالا على النماذج البشرية: {وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (سورة الأعراف، الآية 168).

- جاء مقترنا بالبطش والانتقام الرباني الشديد: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} (سورة هود، الآية 117).

- جاء مقترنا بالثواب والجزاء: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (سورة النحل، الآية 97).

- جاء مقترنا بالرحمة: {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (سورة الأنبياء، الآية 75).

وانطلاقاً من هذه الآيات القرآنية يعد الإصلاح تراكم سلوكات إنسانية حضارية في جوهر الفرد المصلح، كما أنه عملية تغييرية تسعى إلى إحداث تغيير جذري في واقع المجتمع الذي يحتاج للإصلاح في جميع مناحيه، الأخلاقي الديني، التربوي التعليمي السلوكي الاجتماعي، والمادي العمراني....

وذلك طبقاً لبرنامج يهدف إلى تحقيق الغايات المرجوة عبر مدة زمنية، بأساليب ومناهج ووسائل تتفاعل فيه

الجهة المصلحة والمجتمع الذي بحاجة للإصلاح، بحيث يكون التغيير نحو واقع جديد. [5]

كانت فترة قبيل الحرب العالمية الأولى تنبئ بظهور حركة إصلاحية، حيث اتضحت معالمها بعد ذلك في طابع منظم ذي أبعاد وأهداف لها أهمية كبيرة، إن هذه الحركة الإصلاحية كانت لها عدة أشكال سياسية ودينية وثقافية، وجاءت لتكمل ما سعت إليه المقاومة الشعبية المسلحة في استرجاع السيادة الوطنية والتصدي للاستعمار ومقاومته.

لكن هذه الحركة استعملت طرق أخرى ومختلفة عما سبقت لتغيير أوضاع الجزائريين والحفاظ على مقوماتهم من لغة ودين وتاريخ وتصحيح الأفكار الخاطئة وبناء مجتمع مثقف يعرف كيف يدافع عن حقوقه

ومطالبه الشرعية، وما ميز الحركة الإصلاحية أنها مزجت في عملها بين المقاومة السياسية المتمثلة في تشكيل الأحزاب وبين المقاومة الثقافية والإصلاح الذي مس الجانب الديني والاجتماعي. [6]

2/: الحركة الإصلاحية بالعالم العربي وعوامل ظهورها في الجزائر:

شهد العالم العربي ظهور حركة إصلاحية بقيادة علماء ودعاة معادين للاستعمار الغربي والذين سعوا جاهدين من أجل إصلاح المجتمعات العربية والإسلامية والنهوض بها وتخليصها من كل ما آلت إليه من انحطاط وضعف في الثقافة وابتعاد عن الدين الإسلامي ونشر الوعي والحفاظ على مقوماتها والعمل على مجابهة الاستعمار، حيث لعبت عدة عوامل في وصول أفكار ومبادئ هذه الحركة إلى الجزائر مطلع القرن العشرين والتي كانت لها انعكاساتها ليس على علماء الجزائر فحسب بل وحتى على كل الجزائريين.

إن ظهور الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى كان له تأثير إيجابي على المثقفين والعلماء من أبناء الجزائر، [7] بحيث أن رواد النهضة الإصلاحية جمعتهم أهداف ومبادئ غاية في الأهمية، ونجد أبرز هؤلاء الرواد الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي كان يدعو إلى النهضة والتجديد وهو موقن في بداية الطريق بأن ضعف المسلمين يكمن في انحرافهم عن أصول دينهم وبأن خلاصهم من المأساة التي يمرون بها وإخراجهم من الذل الذي هم فيه إلى العز الذي كانوا عليه، وتحريرهم من الاستبداد والعبودية لن يتم إلا بقيام حركة دينية شاملة توجه الأمة إلى ما في قواعد دينها من مبادئ اجتماعية وإنسانية. [8]

واعتبر بأن الإسلام والعلم متوافقان بحيث أن الإسلام لم يرد توقيف الحرية الفكرية، كما أن الأفغاني آمن بضرورة ترويح مذهب الإرادة الحرة كوسيلة لتحقيق الحرية الدينية والسياسية بالإضافة إلى التقدم، وبينما تحول فهم الإسلام إلى تقليد.

نظر الأفغاني للمبادئ الأساسية للإسلام على أنها متوافقة مع العلوم والتطور الحديث، وقد دعا إلى إعادة النظر في الفكر السياسي أيضا لكي يشتمل على الديمقراطية والحكومة الدستورية، وركز آراءه السياسية والإيديولوجية على ضرورة إصلاح الدولة الإسلامية من خلال الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، فطالب بالتمسك بالعدالة والشورى كركنين رئيسيين للحكم الحديث. [9]

ونجد إلى جانب الشيخ جمال الدين الأفغاني كان الشيخ محمد عبده يدعو إلى التجديد الشامل لجميع جوانب حياة المسلمين السياسية والاجتماعية اعتمادا على إحياء العقيدة الصحيحة في نفوسهم، والدعوة إلى الاجتهاد وتحرير العقل ونشر الفضائل، وتوجيه الأنظار إلى اكتساب العلم والوقوف على أسباب تقدم الغرب وعوامل تفوقه، وإعداد العدة من أجل توحيد الشعوب الإسلامية في دولة قوية. [8]

كان للشيخ محمد عبده تأثير واضح في طريقة تفكير المثقفين الجزائريين، من خلال ما جاء به من إرشاد وتوجيه وتعميم لتعاليم الدين الإسلامي، وقد أوضح بأن كل ما أبرزه العلم الحديث من حقائق هي أساسا موجودة في القرآن الكريم، وهذا في حد ذاته حجة قوية على أن الحركة الإصلاحية الإسلامية احتوت على جميع العلوم التي أتى بها الغرب، وقد عمقت زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903م أفكار الإصلاح لدى المثقفين الجزائريين، ورغم وجود مدارس رسمية إحداها بالعاصمة وأخرى بتلمسان وواحدة في قسنطينة إلا أنها لم تستطع الرجوع بالدين الإسلامي إلى سابق عهده لانعدام الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك.

يجدر الإشارة هنا إلى الدور الذي لعبته مجلة العروة الوثقى والتي أسسها كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده حيث ساهمت في حركة البعث العربي الإسلامي العام في العصر الحديث، وبفضل تسربها إلى الجزائر عن طريق فرنسا كان المثقفون الجزائريون يتهافون على اقتنائها. [7]

بالإضافة إلى ما قام به الشيخين من حركة إصلاحية نهضوية نجد مصلحا آخر لا يقل عمله أهمية عنهما وهو عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي الذي بدأ ميوله للصحافة منذ مرحلة شبابه المبكر قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فقد رأى فيها خير منبر يواجه عبره الفساد وينشر الوعي للتخلص من التخلف، حيث باشر عمله أو بالأحرى كفاحه في "الفرات" جريدة حلب الرسمية، التي كانت تصدر باللغتين العربية والتركية، كتب فيها حوالي أربع سنوات "1872-1876م"، ثم هجرها ليصدر صحيفة "الشهباء" سنة 1877م التي تعد أول صحيفة عربية تصدر في حلب، وقد كانت أسبوعية تصدر كل يوم خميس، أوقفتها السلطة العثمانية بعد صدور العدد السادس عشر بشكل نهائي، لكنه لم ييأس فسارع إلى إصدار صحيفة "الاعتدال" في سنة 1879م وقد صدرت باللغتين العربية والتركية بناء على أوامر السلطة العثمانية رغم ذلك أوقفتها الحكومة بعد صدور عشرة أعداد، وقد كان يحرق وحده كل الجريدة كغيره من رواد النهضة، ورغم هذه المعاناة لم يستطع التوقف عن الكتابة في الصحافة فعاد ليساهم في كتابة المقالات في الصحف والمجلات: "القاهرة"، و"نور الإسلام" بالإضافة إلى "المؤيد" سنة 1899م، و"المقطم" و"المنار" سنة 1900م، وقد تميز الكواكبي عن غيره من المصلحين أنه استطاع أن يوظف مقدراته الأدبية وثقافته الدينية من أجل ابتكار خطاب يصل إلى العامة فينهض بعقولهم ويوجدانهم معا. [10]

كما برز على الساحة الإصلاحية كذلك الشيخ محمد رشيد رضا حيث قام بإنشاء مجلة وأطلق عليها اسم: "المنار" وقوبلت هذه المجلة حين إصدارها بالترحاب والاهتمام من مختلف طبقات المجتمع المثقفة، فكان أكثر المشتركين فيها من الطبقة المتعلمة وبالأخص من فئة المحامين والقضاة الأهليين، ورغم ذلك كان انتشارها في

إطار ضيق فلم يزد المشتركون فيها عن الثلاثمائة، والسبب هو أن السلطات العثمانية منعت المجلة من الدخول إلى ولاياتها، لأن مواقفها كانت معارضة للسياسة العثمانية آنذاك، واستمرت المجلة على هذا الحال من الانتشار في العالم الإسلامي، [11] حيث كان لها تأثير واضح على أفكار المثقفين الجزائريين كما كان لها دور فعال في نقل أفكار الشيخ محمد عبده إلى الجزائر، وجعلت الجزائريين يتقبلون الدعوة الإصلاحية وما جاءت به من أفكار.

[6]

اختلفت التأثيرات وتعددت فلم يقتصر الأمر على ما حققه شيوخ الإصلاح الذين سبق ذكرهم بين أواسط المثقفين الجزائريين، بل كان هناك مصلحين آخرين كانت لهم فعالية على المهاجرين الجزائريين في الشرق العربي من خلال أفكارهم الإصلاحية فكان تكوينهم أسرع واكتسبوا وعي وتوجيه ساعدهم على التجديد وإرساء قواعد الدين الإسلامي المعاصر، وأيضاً كتب المصلحين الدينيين التي كان لها تأثير على الجزائريين ومنهم ابن تيمية وابن القيم والشوكاني على غرار رجال الدين الآخرين.

تعد المجالات والجرائد العربية الشرقية من النواة التي مهدت في بعث الحركة الإصلاحية بالجزائر، حيث كانت سببا في اتصال الجزائر بالعالمين العربي والإسلامي وساهمت بشكل كبير في تفعيل النشاط الفكري، كما ساعدت في صحوه الضمير العربي والإسلامي للجزائريين، [7] ولما كان للصحافة من تأثير واضح على عديد من علماء الجزائر أصحاب الاتجاه الإصلاحي انعكس ذلك من خلال المشاركة في نشر الحركة الإصلاحية ودعمها، ومن بين هؤلاء العلماء الذين تميزوا بإدراك وحس وطني وفكر ديني سديد الشيخ عمر بن قدير صاحب جريدة (الفاروق)، وهو من المنتمين إلى مدرسة الإصلاح الديني الإسلامي والتي تأثرت هي الأخرى بما قدمه وجاد به الشيخ محمد عبدو، كذلك الأستاذ عمر راسم صاحب مجلة (ذو الفقار) الذي اقتدى بالإمام محمد عبدو والشيخ جمال الدين الأفغاني، كل هؤلاء وغيرهم أعدوا ما استطاعوا من السبل لوصول الحركة الإصلاحية إلى الجزائر والتي تعد الأساس الذي قامت عليه مجهودات العلماء ورجال الجزائر خاصة أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . [6]

ونجد الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه العلمية والتربوية الصحيحة والتعاليم الحقة التي كان يرسخها لدى تلاميذه خير مثال على ذلك وقد أمد تلك الثورة التعليمية وعززها بالبعثات العلمية التي استفاد منها أبناء الجزائر. [12]

ثانيا: رواد الحركة الإصلاحية بالجزائر وتأسيس جمعية العلماء المسلمين:

ساهمت ثلة من الرواد المجددين المتأثرين بأفكار المشرق العربي عن طريق مجهوداتهم الفردية في بعث اليقظة بين أواسط الشعب الجزائري، وقد أخذت هذه الفئة على عاتقها مسؤولية الحفاظ على الشخصية الجزائرية، ولأنهم كانوا مقتنعين بأن الأمة الجزائرية لم ترتبط ولن ترتبط بفرنسا، ومن بين هؤلاء الرواد:

- الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914م):

هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي الجليلي الحسني التلمساني من أبرز علماء الجزائر في العصر الحديث، ولد سنة 1848م بتلمسان في عائلة اشتهرت بالعلم، وألقب بـ"المجاوي" نسبة إلى "مجاوى" وهي قرية قريبة من مدينة تلمسان، بدأ الشيخ عبد القادر المجاوي تعليمه بحفظ القرآن بتلمسان، وأتمه بطنجة حيث تقلد والده منصب القضاء بها بعد تقلدها بتلمسان طيلة خمسة وعشرين عاماً فنشأ نشأة علمية بفضل والده الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي كان من العلماء الأجلاء وبعد أن أكمل قراءة القرآن بطنجة، انتقل إلى تطوان فقرأ مبادئ العلوم، ثم إلى فأس أين التحق بجامع القرويين . [13]

ومن شيوخه الذين تخرج على يدهم وتأثر بهم:

الفقيه الشهير محمد العلوي الفاسي، والشيخ العلامة محمد قنون، والعلامة محمد بن سودة، والعلامة محمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الحاج محشي المكودي. [14]

بعد أن أنهى تعليمه بجامعة القرويين عاد إلى الجزائر واستقر بمدينة قسنطينة سنة 1869م للتدريس في أحد مساجدها مدة ثلاث سنوات، واشتهر بطريقة تدريسه الحديثة والميسرة، ولهذه الشهرة عينته الإدارة الفرنسية مدرّساً بجامع الكتاني سنة 1873م، ثم بالمدرسة الكتانية في عام 1877م لتدريس مادتي النحو والصرف لكي يتمكن من الحد من نشاطه، فاشتهرت المدرسة شهرة عظيمة بفضل وجوده فيها، وقد ظهرت تربيته الإسلامية وتعليمه الصحيح في الطلاب فاتجهت الأنظار إليها من أنحاء الجزائر لاسيما من عمالة قسنطينة، فأرسل كثير من الخاصة المثقفين أبناءهم إليها وعندما لاحظت الحكومة الفرنسية مدى الهيمنة المعنوية التي يتمتع بها الشيخ المجاوي في صفوف سكان قسنطينة وضواحيها نقلته سنة 1898م إلى مدرسة الجزائر العليا ولاشك أن الحكومة الفرنسية إنما عينت الشيخ المجاوي في هذه المدارس لتقليل من نشاط دعوته الإصلاحية التي أخذت تنتشر الوعي، وتوجه نحو المنهج الرباني الصحيح، لأن مثل هذا النشاط أشد ما يهدد الاستعمار الفرنسي.

في عام 1908م عيّن المجاوي إماماً وخطيباً بجامع سيدي رمضان في حي القصبة العريق وبهذا لم يكن نشاطه التربوي ينحصر في الكلام والتفسير في المدرسة الرسمية بل كان يدرس إضافة إلى ذلك النحو والصرف والبلاغة والأدب والحديث والفقه وأصول التشريع، [13] وقد ألف الشيخ عبد القادر المجاوي عدة كتب في شتى

العلوم وهي في غالبيتها كتب مدرسية صغيرة الحجم موجهة لطلاب العلم، فمنها ما طبع ومنها ما بقي مخطوطا لم يطبع بعد، ومن تلك المؤلفات: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريدين، شرح ابن هشام، شرح اللامية الجرادية في المسائل النحوية وغيرها، توفي الشيخ عبد القادر المجاوي يوم السبت 26 سبتمبر 1914م بقسنطينة. [15]

- الشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852-1942م):

محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول، أبو القاسم كاتب وشاعر له اشتغال بالتاريخ، ولد ببلدة الديس بالقرب من مدينة أبي سعادة وتعلم في زاوية ابن علي داود ببلاد زواوة ثم في زاوية طولقة وزاوية الهامل، [16] وفي سنة 1884م التحق الشيخ أبو القاسم الحفناوي بالجزائر العاصمة وانضم إلى جريدة "المبشر" الرسمية العربية حيث شارك أسرتها في التحرير والتصحيح، وقد رافق الحفناوي جريدة المبشر إلى غاية سنة 1927م أي مدة ثلاثة وأربعين عاما، إلى أن أدمجت هذه الجريدة مع "النشرة الرسمية" وصدرت مكانها "الجريدة الرسمية الجزائرية"، وبتوقف هذه الجريدة عن الصدور توقف الشيخ الحفناوي عن النشاط الصحفي.

وكان بالإضافة إلى نشاطه الصحفي مدرسا بالجامع الكبير بالعاصمة وقد عين في هذا المنصب كأستاذ ابتدائي منذ سنة 1897م، كما كان من كبار الباحثين العرب بحيث انكب على مطالعة المخطوطات العربية القديمة المهملة، ودراساتها بعمق وتدقيق حيث كان شغوبا بالتاريخ والعلوم على مختلف أنواعها، وكانت نتيجة دراسته للمخطوطات القديمة نصرا للنهضة الحديثة، حيث ألف كتابه المشهور "تعريف الخلف برجال السلف" سنة 1906م، ولا شك في أن الشيخ أبو القاسم الحفناوي كان من العلماء الجزائريين المتأثرين بالنهضة العربية في المشرق العربي والتي لقيت ترحيبا كبيرا في الجزائر، وأنه أردا أن يدعم تلك النهضة، فاهتم بإحياء التراث العربي القديم الذي حاول المستعمرون القضاء عليه بكل الوسائل. [17]

وهناك مؤلفات أخرى له مثل: "دفع المحل في تربية النحل" و"القول الصحيح في منافع التلقيح"، و"الخير المنتشر في حفظ صحة البشر". [16]

ولعل من بين إفرازات الحركة الإصلاحية في الجزائر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م، [18] وهي جمعية إرشادية تهذيبية مركزها الاجتماعي بنادي الترقى الموجود ببطحاء الحكومة عدد تسعة بمدينة الجزائر، [19] إن صاحب فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين هو عبد الحميد بن باديس، ففي سنة 1924م تواصل مع رفائله المتواجدين بقسنطينة وضواحيها لإخبارهم بضرورة وأهمية تأسيس جمعية باسم "الأخوة الفكرية" وإقناعهم بذلك من خلال إبراز أهدافها التي تتمثل في جمع وتوحيد المثقفين الجزائريين وتنسيق ما يقومون به من مجهودات في إطار التعليم العربي الحر، أيضا توحيد مذهبهم الديني، وبمرور عدة أشهر أنشأ

الإمام عبد الحميد بن باديس صحيفة "المنتقد" وبعدها أنشأ صحيفة "الشهاب" وكان ذلك في شهر نوفمبر سنة 1925م، ورجاؤه أن ينجح في إحداث التقارب والربط بين المثقفين المسلمين الجزائريين ذوي الاتجاه الإصلاحية. [18]

لقد كان النداء الذي وجهه الشيخ عبد الحميد بن باديس في العدد الثالث من جريدة الشهاب إلى العلماء المصلحين دافع قوي لتأسيس جمعية العلماء المسلمين ومن أهم ما جاء فيه: "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح فاهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام والرجوع إلى أصلي الكتاب والسنة وما كان عليه في عهد القرون الثلاثة

"إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولا من عدد كافي شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق".

ساعدت ردود الفعل الإيجابية ومنها الانضمام الكبير والمتزايد لكل من له اتجاه إصلاحي خاصة الشيخ العقبي والمبارك الميلي وغيرهما في الدعم المعنوي لابن باديس، إن تكوين جمعية العلماء المسلمين ما هو إلا نتيجة لمشاورات ونقاشات دامت خمس سنوات ونصف من نوفمبر 1925م وإلى غاية ماي 1931م، وكان هذا بإشراف الإمام عبد الحميد بن باديس ضمن مجلتها الشهاب، [18] وقد ركز العلماء جهودهم في وضع أسس لجمعيتهم من إعلانات ونشر للتاريخ الجزائري ووسائل أخرى متعددة وكانت اللقاءات المتكررة التي جمعت الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي في المدينة المنورة سنة 1913م سببا في ذلك حيث كانت هذه اللقاءات كلها تهدف لإيجاد الوسائل الممكنة التي تخلص الجزائر من الوضع المتأزم الذي تمر به جراء ما أحدثته الاستعمار الفرنسي بها.

تمكنت اللجنة التأسيسية من ضم اثنين وسبعين عالما من مختلف مناطق الجزائر بنادي الترقى، وفي 05 ماي 1931م عقد اجتماع على هيئة جمعية عمومية لتحديد القانون الأساسي وكان الرئيس المؤقت للاجتماع أبي يعلا الزواوي، وقد تم انتخاب الهيئة الإدارية التي اقترحت قائمة أسماء ثلاثة عشر عضوا، وهذه الهيئة بدورها انتخبت كل من: عبد الحميد بن باديس (رئيسا)، ومحمد البشير الإبراهيمي (نائبا له)، ومحمد الأمين العمودي (كاتباً عاماً) والطيب العقبي (مساعداً له)، ومبارك الميلي (أميناً للمال)، وإبراهيم بيوض (مساعداً له)، وأما باقي

الأعضاء: المولود الحافظي مولاي بن الشريف، الطبيب المهاجي السعيد الياجوري حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل الورتلاني، فقد كانوا للعضوية والاستشارة. [20]

كانت ظروف إنشاء جمعية العلماء المسلمين موالية حيث تزامنت مع الاحتفالات التي أقامها الفرنسيون بمناسبة استكمال مائة سنة على استعمارهم للجزائر، حيث طالت احتفالاتهم وبقوا متأثرين بها فلم تعترض الجمعية أي مشاكل ولم تلقى صعوبات أو معارضا من قبل السلطات الفرنسية، علاوة على ذلك تفتن أعضاء الجمعية المؤسسين إلى ضرورة جعل الإدارة الفرنسية تصف إلى جانبهم وفق ما يخدم مصالحهم، وذلك بإعلانهم أن جمعية العلماء المسلمين لن يكون لها أي تدخل في الأعمال المتعلقة بالجانب السياسي وهذا كله من أجل أخذ جميع الرخص المهمة للبدء في عملية وضع التنظيمات، [18] فغلب على اتجاه الجمعية الطابع الثقافي والاجتماعي والديني. [20]

كان لجمعية العلماء المسلمين أهداف غاية في الأهمية كنشر الوعي بين أفراد المجتمع الجزائري، ولتحقيق مثل هذه الأهداف اعتمدت على وسائل هي:

- التعليم وإنشاء المدارس.
- دروس الوعظ والإرشاد في المساجد العامة.
- تنظيم محاضرات ولقاءات في النوادي.
- الصحافة.
- الاحتجاجات والوفود والرسائل والمشاركة في التجمعات العامة.

وقد تعددت أهداف ومساعي الجمعية التي تأسست من أجلها وقاومت وتحذت لتحقيقها، وفيما يلي مختصر لأهم المبادئ التي جاءت بها:

احتوى شعار جمعية العلماء المسلمين المعروف "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا والجزائر وطننا" على المقومات الأساسية التي تبني الشخصية الجزائرية والتي لطالما أراد المستعمر الفرنسي تشويهها وإلغاءها، ولكن جمعية العلماء كانت له بالمرصاد ودافعت عنها وحاربت الأمور التي تقضي عليها من تنصير وفرنسة وتجنيس واندماج في فرنسا. [11]

بالإضافة لشعار جمعية العلماء المسلمين هناك فقرات أخذت من مقال كتبه الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء بعنوان: جمعية العلماء المسلمين موقفها من السياسة والساسة اختصرت فيه مبادئ جمعية العلماء المسلمين، وقد ذكر فيه ما يلي: "يا حضرة الاستعمار، إن جمعية العلماء تعمل للإسلام

بإصلاح عقائده وتفهم حقائقه، وإحياء آدابه وتاريخه، وتطالبك بحرية التعليم العربي، وتدافع عن الذاتية الجزائرية، التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن، وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها، وتاريخها في موطن عربي وبين قوم من العرب، وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم، وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم وسير أعلامهم وأمجاد تاريخهم، وتعمل لتقوية رابطة العروبة، بين العربي والعربي لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب". [11]

أيضا يمكن إضافة بعض الأهداف الأخرى للجمعية كتكوين جيل مثقف من شباب الأمة الجزائرية المسلمة والذي يعد من الأعمال البارزة، خاصة وأن ما اشتمل عليه البرنامج الذي كانت تقدمه لطلبة العلم يكشف لنا مدى رغبة الجمعية في تحقيق هدف معين حتى وإن لم تصرح به، وهذا ما جعلها تتجنب التدخل في الأمور ذات الصلة بالسياسة لتفادي أي مشاكل قد تنجم مع السلطات الفرنسية من أجل ضمان استمرار عملها والوصول إلى الغاية التي ترمي إليها، [21] كذلك عملت الجمعية على التصدي للردائل التي تفشت في المجتمع الجزائري كالخمر والميسر والجهل وكل ما يبغضه الدين الإسلامي والشرع ولا يتقبله العقل. [22]

كان لجمعية العلماء المسلمين أعمال في عدة ميادين من بين هذه الميادين الميدان الديني الذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وميدان التعليم العربي، ومن هذه الأعمال نذكر:

- عملها في توجيه الأمة:

يعد توجيه الأمة الجزائرية للصالحات وتعليمها تعليما عقليا وروحيا سليما من اختصاص جمعية العلماء المسلمين، يضاف إلى هذا تخليصها للعقل من الخرافات والأباطيل، وتمكين الشعب الجزائري من معرفة الأعمال التي تعود بالفائدة والنفع عليه من الأعمال التي لا جدوى ولا نفع منها. [23]

- عملها للعروبة:

لقد حافظت جمعية العلماء المسلمين على الأصول العربية للشعب الجزائري وجعلته يفتخر بنسبه وبلغته، ويعرف بأن هناك رابط يجمع بين المقومات الثلاثة: "الجنس، واللغة، والوطن"، كما أكدت للفرنسيين بأن الانصهار الذي حدث بين البربر والعرب قد كون مجتمع عربي واحد متماسك بدافع الإسلام والنسب الذي يجمع بينهم. [23]

خاتمة:

لقد قاد الحركة الإصلاحية عدة رواد ومصلحين حيث تكاثفت جهودهم في مختلف الميادين من أجل إحداث تغيير وإصلاح لما آل إليه العرب، ومن بين هؤلاء الرواد نذكر: الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده وتأسيسهما لمجلة العروة الوثقى، والشيخ محمد رشيد رضا وتأسيسه لمجلة المنار، فتمكنوا بفضل تلك الجرائد من نشر أفكارهم الإصلاحية والوعي الديني والثقافي للنهوض بالأمة العربية والإسلامية وذلك من أجل التخلص من الاستعمار الأوربي الذي كان يعمل جاهدا للقضاء على هويتها.

أبرزت وصول النهضة العربية التي قامت في المشرق العربي إلى الجزائر وتأثر النخبة المثقفة الجزائرية بها تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي ترأسها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بمساعدة علماء آخرين منهم الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الملي والشيخ الطيب العقبي وغيرهم من الذين سعوا بكل ما يملكون لنشر دعوتهم الإصلاحية ومساندة الجمعية لإنجاح الأهداف والمسااعي التي كانت ترمي إليها.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير "معجم عربي-عربي"، د ط، بيروت-لبنان، مكتبة لبنان، 1987م.
- [2] ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، تص: أمين محمد، محمد الصادق، ج 3، ط 3، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، د ت.
- [3] نزار أسعد نزار، إصلاح الأمة في ضوء الكتابة والسنة "دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج 23، ع 2007، 1م.
- [4] القرآن الكريم.
- [5] صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي 1919-1939م "دراسة مقارنة" مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، إشراف الأستاذ: بوشنخي شيخ، 2012/2011م.
- [6] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، د ط، الجزائر، شركة دار الأمة، 1998م.
- [7] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945) رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978، ط: الأولى، الجزائر، دار البعث، 1981م.
- [8] محمد بن سميحة، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، د ط، الجزائر، دار مدني، 2004م.
- [9] أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط 1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م.
- [10] ماجدة حمود، عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001م.
- [11] عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956م) دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال-جامعة الجزائر 3، إشراف: أحسن بومالي، 2011/2010م.
- [12] حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية آدابها، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، إشراف الأستاذ: محمد عباس، 2014/2013م.
- [13] عبد القادر المجاوي، عمر بريهمات، المرصاد في مسائل الاقتصاد، تح: عبد الرزاق بلعباس، ط 1، جامعة الملك عبد العزيز-جدة، مركز النشر العلمي، 1904م.
- [14] عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلمين، ط 1، بيروت-لبنان، دار ابن حزم، 2008م.
- [15] مولود عويمر، العلامة عبد القادر المجاوي التلمساني الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، <http://shamela-dz.net/?p=1101>، 22 جانفي 2018.
- [16] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، بيروت-لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980م.
- [17] سيف الإسلام الزبيير، تاريخ الصحافة في الجزائر "رواد الصحافة الجزائرية"، ط 1، القاهرة، دار الشعب، 1981م.

- [18] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: محمد يحياتن، ط: خاصة، د م، دار الحكمة، د ت.
- [19] عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جم وإع: قسم إحياء تراث الجمعية، د ط، الجزائر، دار المعرفة، 2009م.
- [20] الطاهر الغول، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية (1919/1954م)، مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمه لخضر-الوادي، إشراف: عاشوري قمعون، 2014/2013م.
- [21] عبد القادر حملات، أثر الحركة الوطنية في شعر مبارك جلواح، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية-وهران، إشراف: عبد الملك مرتاض، 2010/2009م.
- [22] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط: الأولى، الجزائر، دار ربحانة، 2002م.
- [23] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، عيون البصائر ط 1، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1997م.